
ك
لغز الجوارب المفقودة
قصّة: ليلى عودة
رسومات: علي الزيني

"ما هذا؟؟ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ هذا! أَيْنَ تَخْتَفي فَرْداتُ الْجَوارِبِ؟؟؟". صَرَخَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تُخْرِجُ الْمَلابِسَ مِنَ الْغَسّالَةِ الْكَبيرَةِ، بَيْنَما كانَ زِيادٌ يُراقِبُها مُسْتَغْرِبًا: "أَيْنَ تَخْتَفي الْجَوارِبُ حَقًّا؟ إِنَّها لَيْسَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَتَذَمَّرُ فيها أُمّي مِنْ هذِهِ الظّاهِرَةِ". قالَ زِيادٌ لِنَفْسِهِ.





اِقْتَرَبَ زِيادٌ مِنَ الْغَسّالَةِ الْكَبيرَةِ بَيْنَما كانَتْ أُمُّهُ تَضَعُ مَجْموعَةً جَديدَةً مِنَ الْمَلابِسِ الْمُتَّسِخَةِ بِداخِلِها، وَأَخَذَ يَنْظُرُ مِنْ خِلالِ الزُّجاجِ لَعَلَّهُ يَجِدُ ثُقْبًا أَوْ فُتْحَةً تَدْخُلُ فيها الْجَوارِبُ وَتَخْتَفي. وَلكِنْ لا شَيْءَ:

"أمممممم، سَأَجْلِسُ بِقُرْبِها وَأَتَفَحَّصُها، رُبَّما أَجِدُ السِّرَّ". تَمْتَمَ زِيادٌ. كانَ زِيادٌ يُحِبُّ الِاسْتِكْشافَ، وَيَلْعَبُ دائِمًا لُعْبَةَ الْمُحَقِّقِ، وَيُحَلِّلُ وَيُراقِبُ دونَ كَلَلٍ. وَهذِهِ الْمَرَّةَ وَجَدَ لُغْزًا حَيَّرَهُ وَحَيَّرَ أُمَّهُ مِنْ قَبْلُ، فَقَرَّرَ الْمُراقَبَةَ وَالْبَحْثَ جَيِّدًا حَتّى يَكْتَشِفَ سِرَّ اخْتِفاءِ الْجَوارِبِ.

جَلَسَ زِيادٌ أَمامَ الْغَسّالَةِ بَعْدَ أَنْ تَفَحَّصَ كُلَّ زاوِيَةٍ فيها، مِنَ الْيَمينِ وَمِنَ الْيَسارِ، من فوقُ ومن تحتُ. فَكَّرَ زِيادٌ: "لا شَيْءَ. مممم، لَمْ أَجِدْ شَيْئًا هُنا.
آااه، مُمْكِنٌ أَنْ يَكونَ في الدّاخِلِ؟ سَأَنْتَظِرُ هُنا إِلى أَنْ تَنْتَهِيَ دَوْرَةُ الْغَسّالَةِ، لِكَيْ أَسْتَطيعَ الْبَحْثَ داخِلَها وَتَفَحُّصَها".



اِنْتَظَرَ زِيادٌ دَقائِقَ، ثُمَّ نِصْفَ ساعَةٍ، ثُمَّ بَدَأَتِ الْغَسّالَةُ تَلُفُّ وَتَدورُ: "وووووووون ن ن ن ن ن فووووووووو". وَبَيْنَما كانَ يُراقِبُ الدَّوَرانَ، شَعَرَ بِالدُّوارِ وَالنُّعاسِ، فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ. وَفَجْأَةً أَحَسَّ بِنَفْسِهِ يَلُفُّ وَيَدورُ وَكَأَنَّهُ في دولابِ مَدينَةِ الْمَلاهي، اِسْتَغْرَبَ وَقالَ: "مَ مَ مَ ما هذا؟ ماذا يَحْصُلُ؟ أَيْنَ أَنا؟".



نَظَرَ حَوْلَهُ فَرَأى فُقّاعاتِ الصّابونِ وَالْمَلابِسَ تُحيطُ بِهِ. "ما هذا! يَبْدو كَأَنَّني داخِلَ الْغَسّالَةِ الْكَبيرَةِ! وَلكِنْ مَ مَ مَ ماذا؟ ما الَّذي حَصَلَ؟". لَمْ يُصَدِّقْ زِيادٌ عَيْنَيْهِ، كُلُّ شَيْءٍ يَبْدو كَبيراً وَغَريبًا، قالَ مُنْدَهِشًا: "كَيْفَ اتَّسَعْتُ هُنا؟؟ لا بُدَّ أَنَّ حَجْمي قَدْ تَقَلَّصَ!". سَبَحَ زِيادٌ في الْماءِ مُحاوِلًا الْبَحْثَ عَنْ مَخْرَجٍ لَهُ وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُ الْعالَمَ الْغَريبَ مِنْ حَوْلِهِ.





ثُمَّ أَحَسَّ فَجْأَةً بِشَلّالٍ مِنَ الْماءِ يَنْهَمِرُ فَوْقَ رَأْسِهِ بِقُوَّةٍ، خافَ زِيادٌ كَثيراً وَشاهَدَ الْمِياهَ تُحيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ مَكانٍ! حَبَسَ زِيادٌ أَنْفاسَهُ، وَبِشَجاعَةٍ اسْتَطاعَ السِّباحَةَ بَعيدًا. نَظَرَ زِيادٌ إِلى مَكانِ انْهِمارِ الْمِياهِ، إِنَّها ثُقوبٌ كَثيرَةٌ مِثْلُ خَلايا النَّحْلِ، وَإِنَّما أَكْبَرُ، وَبَدَتْ كَأَنَّها بُيوتٌ مَعْدَنِيَّةٌ تَمْتَلِىءُ بِفُقّاعاتِ الصّابونِ وَتَنْزِلُ مِنْها شَلّالاتٌ مِنَ الْمِياهِ تَفيضُ أَحْيانًا وَتَتَوَقَّفُ أَحْيانًا. تَوَقَّفَ وَتَأَمَّلَ هذِهِ الْبُيوتَ، وَعِنْدَها سَمِعَ صَوْتًا يَقولُ: "هَيّا! هَيّا! سَوْفَ نَتَأَخَّرُ، أَسْرِعوا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ دَوْرَةُ الْغَسّالَةِ!".

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ مِنْ بَعيدٍ مَخْلوقاتٌ صَغيرَةٌ رَأْسُها يُشْبِهُ الْقَدَمَ، لَدَيْها عُيونٌ وَأَفْواهٌ وَأَيْدٍ وَأَقْدامٌ صَغيرَةٌ تَرْكُضُ بِسُرْعَةٍ، وَبَعْضُها يَسْبَحُ وَيَغْطِسُ في الْماءِ، وَبَعْضُها الْآخَرُ يَخْرُجُ مِنَ الْماءِ صاعِدًا إِلى الثُّقوبِ، حامِلًا أَشْياءَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُمَيِّزَها.

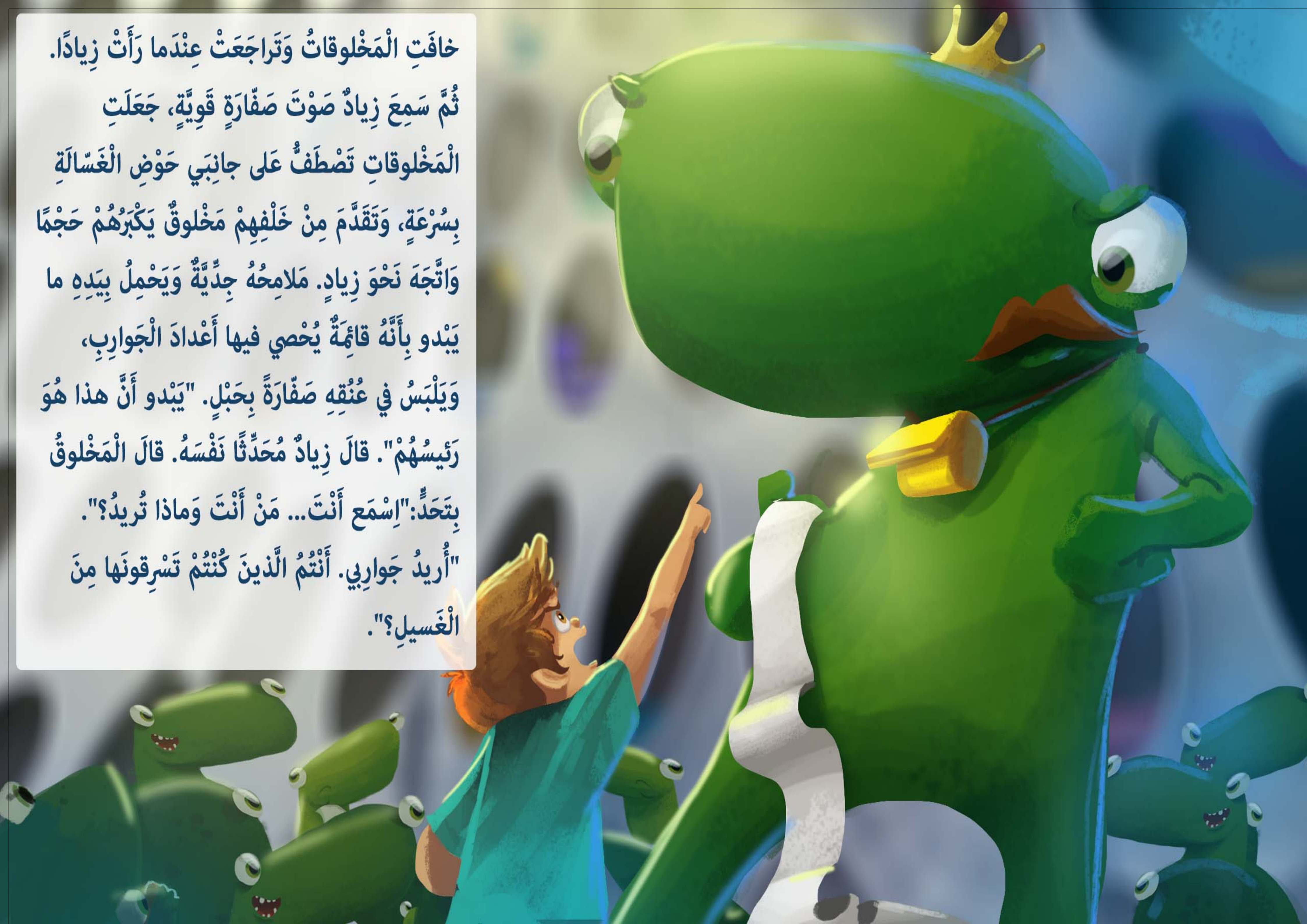


سَبَحَ زِيادٌ مُقْتَرِبًا مِنَ الْمَخْلوقاتِ الْغَريبَةِ وَ: "ما هذا؟ إِنَّهُمْ يَحْمِلونَ أَشْياءً مُلَوَّنَةً، مِنْها الْمُخَطَّطُ وَمِنْها الْمُنَقَّطُ. هذا يَبْدو مَألوفًا، إِنَّهُمْ يَأْخُذونَ جَوارِبي! يا إِلهي! إِذَنْ هكَذا كانَتْ تَخْتَفي الْجَوارِبُ. الْآنَ عَرَفْتُ!". وَعِنْدَها عادَ الصَّوْتُ يَقولُ: "هَيّا اخْتاروا ما يُعْجِبُكُمْ وَأَنْهوا الْعَمَلَ خِلالَ عَشْرِ دَقائِقَ، لا يوجَدُ الْكَثيرُ مِنَ الْوَقْتِ!".



خافَتِ الْمَخْلوقاتُ وَتَراجَعَتْ عِنْدَما رَأَتْ زِيادًا. ثُمَّ سَمِعَ زِيادٌ صَوْتَ صَفّارَةٍ قَوِيَّةٍ، جَعَلَتِ الْمَخْلوقاتِ تَصْطَفُّ عَلى جانِبَي حَوْضِ الْغَسّالَةِ بِسُرْعَةٍ، وَتَقَدَّمَ مِنْ خَلْفِهِمْ مَخْلوقٌ يَكْبَرُهُمْ حَجْمًا وَاتَّجَهَ نَحْوَ زِيادٍ. مَلامِحُهُ جِدِّيَّةٌ وَيَحْمِلُ بِيَدِهِ ما يَبْدو بِأَنَّهُ قائِمَةٌ يُحْصي فيها أَعْدادَ الْجَوارِبِ، وَيَلْبَسُ في عُنُقِهِ صَفّارَةً بِحَبْلٍ. "يَبْدو أَنَّ هذا هُوَ رَئيسُهُمْ". قالَ زِيادٌ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ. قالَ الْمَخْلوقُ بِتَحَدٍّ:"اِسْمَع أَنْتَ... مَنْ أَنْتَ وَماذا تُريدُ؟".

"أُريدُ جَوارِبي. أَنْتُمُ الَّذينَ كُنْتُمْ تَسْرِقونَها مِنَ الْغَسيلِ؟".





"لَوْ سَمَحْتَ، نَحْنُ لَسْنا لُصوصًا. إِنَّنا فَقَطْ نَعْمَلُ هُنا وَنَجْمَعُ أُجورَنا، وَالَّتي هِيَ أَيْضًا مَلابِسُنا".

اِسْتَغْرَبَ زِيادٌ وَقالَ لَهُ: "أُجورٌ؟ وَلكِنَّها لَيْسَتْ أُجورًا، بَلْ هِيَ ما نَلْبَسُ عَلى أَقْدامِنا. فَكَيْفَ تُفيدُكُمْ؟".

طَبْعًا تُفيدُنا. اِسْمُنا هُوَ الْجَرابيزُ، أُنْظُرْ!". وَلَبِسَ الْمَخْلوقُ الْجَورَبَ عَلى رَأْسِهِ وَبَدا شَكْلُهُ مُضْحِكًا جِدًّا. "وَأَنْتَ مَنْ تكونُ؟ ما هُوَ اسْمُكَ؟". سَأَلَ رَئيسُ الْجَرابيزِ بِجِدِّيَّةٍ. حاوَلَ زِيادٌ أَنْ يَكْتُمَ ضَحِكَهُ وَقالَ: "أَنا زِيادٌ وَهذا جَوْرَبي. مممم وَلِكِنْ لا تَسْتَطيعونَ الِاسْتِمْرارَ بِأَخْذِ الْجَوارِبِ. يَجِبُ أَنْ نَجِدَ حَلًّا يُرْضي جَميعَ الْأَطْرافِ".



فَكَّرَ زِيادٌ عَميقًا ثُمَّ خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ، قالَ: "وَجَدْتُها! لَدَيَّ الْكَثيرُ مِنَ الْجَوارِبِ الْمَثْقوبَةِ، تُبْقيها أُمّي لِكَيْ تَصْنَعَ مِنْها أَلْعابًا لي وَلِأَخي. سَأَضَعُها لَكُمْ في الْمَرّاتِ الْقادِمَةِ شَرْطَ أَنْ لا تَأْخُذوا جَوارِبي".

"حَسَنًا، يَبْدو هذا حَلًّا جَيِّدًا، عَلى أَنْ تَعِدَني بِأَلّا تَنْسى وَعْدَكَ لي" رَدَّ الْجَرْبوزُ.



"أَعِدُكَ، فَأَنا أَعْلَمُ كَمْ هِيَ مُهِمَّةٌ لَكُمْ. اِتَّفَقْنا إِذَنْ، في الْمَرَّةِ الْقادِمَةِ سَتَجِدونَها. وَلكِنِ الْآنَ، هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ يُمْكِنُني الْخُروجُ مِنْ هُنا؟ لا أَدْري كَيْفَ جِئْتُ!".
قالَ زِيادٌ بِتَخَوُّفٍ. "لا تَخَفْ سَتَخْرُجُ قَريبًا بَعْدَ انْتِهاءِ دَوْرَةِ الْغَسّالَةِ. ما رَأْيُكَ بِأَنْ نَأْخُذَكَ في جَوْلَةٍ مَعَنا لِتَرى كَيْفَ نَعْمَلُ؟". "نَعَمْ سَآتي، يَبْدو شَيْئًا مُمْتِعًا!".



وَذَهَبَ زِيادٌ مَعَ الْجَرابيزِ وَسَبَحوا سَوِيًّا وَصَنَعوا فُقّاعاتٍ مِنَ الصّابونِ وَنَظَّفوا الْمَلابِسَ. وَبَعْدَها بَدَأَتِ الْغَسّالَةُ بِالدَّوَرانِ السَّريعِ: "ووووووو فن ن ن ن ن ن فروووووووم بوم بوم بوم!". صَرَخَ زِيادٌ بِسَعادَةٍ: "وووووهووووو هذا رائع!" وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ.



وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ الدَّوَرانُ وَصَمَتَ كُلُّ شَيْءٍ. فَتَحَ زِيادٌ عَيْنَيْهِ وَوَجَدَ نَفْسَهُ جالِسًا بِالْقُرْبِ مِنْ بابِ الْغَسّالَةِ، وَأُمُّهُ تَقولُ لَهُ: "زِيادٌ! زِيادٌ! اِبْتَعِدْ قَليلًا يا حَبيبي، أُريدُ أَنْ أُخْرِجَ الْغَسيلَ. يَبْدو بِأَنَّكَ غَفَوْتَ. " ياااااااهْ مَرَّةً ثانِيَةً؟! أَيْنَ الْجَوارِبُ؟!".



ضَحِكَ زِيادٌ وَقالَ: "لا تَقْلَقي يا أُمّي لَنْ تَضيعَ الْجَوارِبُ بَعْدَ الْيَوْمِ".



حَلٌّ لِعَدَمِ ضَياعِ الْجَوارِبِ: ضَعِ الْجَوارِبَ قَبْلَ الْغَسيلِ داخِلَ كيسٍ مِنَ الْقُماشِ، أَوْ في غِطاءِ مِخَدَّةٍ،
وَهكَذا تَخْرُجُ جَميعُها بِأَزْواجِها دونَ أَنْ تَضيعَ.



النِّهايَةُ